مجلة إشكالات في اللغة والأدب — مجلد: 12 عدد: 1، مارس 2023
ص: 206 - 222 — E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

حجاجية الأساليب الإنشائية في سورة الزمر

The argument of Compositional techniques in Surah Az-Zumar

سويح فاطنة[1] / أبو بكر زروقي[2] *
Fatna Souiah [1] / Aboubaker Zeroki [2]
مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها.
جامعة محمد خيضر بسكرة (الجزائر)
University of Mohamed Khider Biskra (Algeria).
fatna.souiah@univ-biskra.dz [1] aboubakerzeroki@gmail.com [2]

تاريخ الإرسال: 2022/08/02	تاريخ القبول: 2023/12/07	تاريخ النشر: 2023/03/02

ملخص البحث

الحجاج ترجيح خيار من بين خيارات أسلوب هو في ذاته عدول عن إمكانيات لغوية على أخرى يتوقع أنها أكثر نجاعة في مقام معين. أما الأساليب الإنشائية فهي الكلام الذي يتوقف تحقق مدلوله على النطق به، كالأمر والنهي والدعاء والاستفهام وغيرها...وهذه الأساليب الإنشائية تؤدي معان أصلية، وقد تتعداها إلى معان فرعية، وذلك عند خروج كل أسلوب عن معناه الأصلي ولكن الهدف من ذلك كله هو التأثير في المخاطب بترغيبه تارة وترهيبه أخرى، باستعمال أبلغ الأساليب، وأقوى الحجج.

فما بالنا إذا تعلق الأمر بأيّ القرآن الكريم، وسورة الزمر بالخصوص التي تعددت في الأساليب الإنشائية لترغيب أهل الجنة بالجنة، وترهيب أهل النار بالنار. فما المعاني الأصلية لهذه الأساليب في السورة الكريمة، وهل يمكننا اعتبار الأسلوب الإنشائي حجة؟

الكلمات المفتاح: حجاج، إقناع، روابط حجاجية، أساليب إنشائية، عوامل حجاجية.

Abstract :

The argument is preferring one of the style options, that is in itself a rejection of linguistic possibilities over another, that is expected to be more effective in a particular place. As for the Compositional techniques, they are the speech whose meaning depends on its pronunciation, such as command, prohibition, questioning... These compositional techniques lead to original meanings, when each method deviates from its original meaning, but the goal of all this is to influence the recipient by tempting him at one time and intimidating him at another.

When it comes to the Qur'an, and Surah Az-Zumr in particular, which has a number of compositional techniques to desire people with Paradise, and intimidate them with hell.

* فاطنة سويح: fatna.souiah@univ-biskra.dz

What are the original meanings of these methods in the Surah, and can we consider the compositional techniques as an argument?

Keywords: Argument, Persuasion, Argumentative links, Compositional techniques, Argumentative factors.

مقدمة:

يُعد موضوع "الأساليب الإنشائية من أقدم المباحث البلاغية وأكثرها اهتماما ودراسة، فقد شغل بال الكثير من العلماء واللغويين، قديما وحديثا، فخصصوا له فصولا وأبوابا من مصنفاتهم، ومنهم من أفرد للأساليب الإنشائية مصنفا كاملا؛ كونها من أهم قضايا العربية، ومن أساليبها في الكلام، إذ تُعرّف الأساليب الإنشائية بأنها: "الكلام الذي يتوقف تحقق مدلوله، على النطق به كالأمر والنهي والدعاء والاستفهام، وإنشاء العقود، وإنشاء المدح والذم، وأمر التكوين، والقسم، ونحو ذلك" والأساليب الإنشائية أحيانا تخرج عن غرضها الحقيقي لتؤدي أغراضا مجازية، إذ نجد من العلماء من يعتبر المجاز في كثير من الكلام أبلغ من الحقيقة، فاستعماله لا يمس بلاغة المتكلّم فقط، وإنما يجعل السامع مشاركا في عملية الابداع، كونه يجلب انتباه السامع ويجعله يستعمل تخييله وتصويره لفهم كُنْهِ هذه المجازات.

إشكالية الدراسة: تتمحور الإشكالية الكبرى للبحث حول البعد الحجاجي في الأساليب الإنشائية، ما أثر الحجاج في تحرير معنى الأساليب الإنشائية وتقريبه من نفوس المتلقين؟ وتتفرع بعض الأسئلة عنها:

1. ما الأساليب الإنشائية؟
2. ما العلاقة التي تربط ما بين الحجاج والأساليب الإنشائية؟
3. هل تتوفر سورة الزمر على الأساليب الإنشائية؟

أهداف البحث:

- ذكر العلاقة التي تربط ما بين البلاغة والحجاج.
- شرح الأساليب الإنشائية وتحليلها في سورة الزمر استعانة بكتب التفسير.
- استخراج الروابط والعوامل وكذا السلالم الحجاجية من السورة الكريمة.

منهجية البحث:

1. **منهج البحث:** تعتمد هذه الدراسة منهج المقاربة الحجاجية الذي نراه الأنسب لمثل هكذا دراسة.
2. **صعوبات البحث:** لا يمكن القيام بأيّ بحث دون صعوبات، وصعوبات هذا البحث تكمن في كثرة المادة العلمية وتشعبها مما يصعب علينا ضبطها واختيار الأنسب منها.

3. **حدود الدراسة:** يُعتبر هذا البحث جزئية دراسة فقط من موضوع شاسع ألاَ وهو الآليات البلاغية والآليات الحجاجية، أو بعبارة أخرى جزئية بسيطة من موضوع شامل ألا وهو علاقة البلاغة بالتداولية، أمّا دراستنا فجزئية متمثلة في الحجاج وربطه بالأساليب الإنشائية.

أولا: الأساليب الإنشائية في سورة الزمر

1. تعريف الأساليب الإنشائية: هي الكلام الذي يتوقف تحقق مدلوله على النطق به، كالأمر والنهي والدعاء والاستفهام، وإنشاء العقود، وإنشاء المدح والذم، وأمر التكوين، والقسم، ونحو ذلك.

أ. الاستفهام: والأصل فيه طلب الإفهام والإعلام لتحصيل فائدة علمية مجهولة لدى المستفهم، وقد يراد بالاستفهام غير هذا المعنى الأصلي له، ويستدل على المعنى المراد بالقرائن القولية أو الحالية. وقد أحصى البلاغيون معاني كثيرة خرج إليها الاستفهام عن حقيقته إذ تنبهوا إليها لدى دراسة مختلف النصوص، وهي ما يلي:1- الإنكار، 2- التوبيخ، 3- التقرير، 4- التعجب أو التعجيب، 5- العتاب، 6- التذكير، 7- الافتخار، 8- التفخيم أو التعظيم، 9- التهويل والتخويف، 10- التسهيل والتخفيف، 11- التهديد والوعيد، 12- التكثي، 13- التسوية، 14- الأمر، 15- التنبيه،16- الترغيب، 17- النهي، 18- الدعاء، 19- الاسترشاد، 20- التمني والترجي، 21- الاستبطاء، 22- العرض، 23 التحضيض، 24- التجاهل، 25- التحقير والاستهانة، 26- المدح والذم، 27- الاكتفاء، 28- الايناس، 30- التهكم والسخرية، 31- الإخبار، 32- التأكيد. إلى غير ذلك من معان[1].

- شرح الاستفهام وتحليله:

قال الله تعالى: **(لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ)**	06

جملة "لا إله إلا" بيان لجملة الحصر في قوله "له الملك"، وفرع عليه استفهام إنكاري عن انصرافهم عن توحيد الله تعالى، ولما كان الانصراف حالة، استفهم عنها بكلمة "أنّ" التي هي هنا بمعنى "كيف". والصرف: الإبعاد عن شيء، والمصروف عنه هنا محذوف، تقديره: عن توحيده، لقرينة قوله: "لا إله إلا هو"[2] و"أنّ": اسم استفهام للإنكار والتوبيخ بمعنى "كيف" في محل نصب على الظرفية المكانية متعلق بمحذوف حال[3].

قال الله تعالى: **(أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ)**	09

في الألف التي في "أمّن" وجهان: أحدهما: أنها ألف استفهام، الثاني: ألف نداء[4] أما "أم" فيجوز أن تكون متصلة معادلة (الكافر خير أم الذي هو قانت) ويجوز أن تكون منقطعة مقدرة ببل (بل أمّن هو قانت) والاستفهام إنكاري.

قال الله تعالى: **(قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)**	09

"هل" حرف للاستفهام الإنكاري والنفي لا محل له من الإعراب[5]. والمقصود هنا إثبات عدم المساواة بين الفريقين، وعد المساواة يُكَنَّى به عن التفضيل، تفضيل الذين يعلمون على الذين لا يعلمون، ولهذا كان نفي الاستواء في هذه الآية أبلغ من نفي المماثلة في قول النابغة:

يُخْبِرُكَ ذُو عَرْضهم عنّي وعالمهم وليس جاهُلُ شيءٍ مثلُ من عَلِمَا[6]

قال الله تعالى: (أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ)	19

الهمزة للاستفهام الإنكاري والهمزة الثانية تأكيد للهمزة الأولى[7] والفاء عاطفة على مقدر بعد الهمزة (أأنت مالك أمرهم فمن حق عليه العذاب فأنت تنقذه)[8].

قال الله تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ)	21

الكلام استفهام تقريري، والخطاب لكل من يصلح للخطاب، فليس المراد به مخاطبا معينا، والرؤية بصرية،[9] ومعنى سلكه أدخله، وأجراه، والينابيع جمع ينبوع، وهو العين، وفي هذا دليل على أن ماء العيون من المطر[10].

قال الله تعالى: (أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ)	22

"أفمن" الهمزة للاستفهام الإنكاري، والفاء عاطفة على مقدر بعد الهمزة، والتقدير (أكل الناس سواء فمن يتق ...) وترك الجواب اجتزاء بمعرفة السامعين، وبدلالة ما بعده، والتقدير (كمن أقسى الله قلبه وأخلاه من ذكره حتى ضاق عن استماع الحق)[11]، وجاء في التحرير والتنوير أن الاستفهام تقريري[12].

قال الله تعالى: (أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)	24

استفهام مستعمل في معنى مجازين جعل المفسرون في الكلام حذفا، وتقدير المحذوف: "كمن أمن العذاب أو كمن هو في النعيم، وجعلوا الاستفهام تقريرا أو إنكاريا"[13].

قال الله تعالى: (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)	29

الاستفهام هنا يجوز أن يكون تقريريا، ويجوز أن يكون إنكاريا، وجيء فيه بـ "هل" لتحقيق التقرير أو الإنكار[14].

قال الله تعالى: (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ)	32

"من" استفهام خرج إلى النفي فيحل رفع مبتدأ[15]، والاستفهام مستعمل مجازا مرسلا أو كناية[16].

قال الله تعالى: (أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ)	32

"أليس" الهمزة للاستفهام التقريري حرف لا محل له من الإعراب.

قال الله تعالى: (أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ)	36

"أليس" الهمزة للاستفهام التقريري حرف لا محل له من الإعراب.

ملحوظة: همزة الإنكار إذا دخلت على النفي أثبتته[17].

قال الله تعالى: (أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ)	37

الاستفهام التقريري، لأن العلم بعزة الله متقرر في النفوس لاعتراف الكل بإلهيته، والإلهية تقتضي العزة، ولأن العلم بأنه منتقم متقرر من مشاهدة آثار أخذه لبعض الأمم مثل عاد وثمود.

قال الله تعالى: (قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ)	38

الاستفهام إنكاري[18]، والهمزة للاستفهام التوبيخي، والتبكيت "رأيتم" بمعنى "أخبروني"[19].

قال الله تعالى: (هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ)	38

الاستفهام استعاري، الآية رد على المشركين، وبرهان على الوحدانية سببها أن المشركين خوّفوا الرسول من آلهتهم، فنزلت الآية مبينة أنهم لا يقدرون على شيء فإن قيل: كيف قال كاشفات وممسكات بالتأنيث؟ فالجواب: أنها لا تعقل، فعاملها معاملة مؤنثة، وأيضا ففي تأنيثها تحقير لها وتهكم بمن عبدها.

قال الله تعالى: (هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ)	38

استفهام إنكاري.

قال الله تعالى: (أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ)	43

"أم" هنا بمعنى "بل"، همزة الإنكار، والشفعاء هم الأصنام وغيرها[20]، وجاء في التحرير والتنوير: "الاستفهام الذي تشعر به "أم" في جميع مواقعها هو هنا للإنكار بمعنى أن تأويلهم، وعذرهم منكرا كما كان المعتذر عنه منكرا، فلم يقضوا بهذه المعذرة وطرا[21].

قال الله تعالى: (أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ)	60

"أليس" للاستفهام التقريري لا محل لها من الإعراب.

قال الله تعالى: (قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ)	64

"أفغير" الهمزة للاستفهام الإنكاري، والفاء عاطفة على مقدر بعد الهمزة.

قال الله تعالى: (وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا)	71

"ألم" الهمزة للاستفهام التقديري[22].

ب. الأمر: وهو طلب تحقيق شيء ما، مادي أو معنوي، وتدل عليه صيغ كلامية أربع هي: فعل الأمر- المضارع الذي دخلت عليه لام الأمر – اسم فعل الأمر – المصدر النائب عن فعل الأمر.

- **شرح الأمر وتحليله:**

قال الله تعالى: (قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ)	08

أي قل لهذا الإنسان "تمتع"، وهو أمر تهديد، فمتاع الدنيا قليل (إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ) أي مصيرك إلى النار[23].

قال الله تعالى: (قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي (14) فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ)	15

أمر تهديد وتوبيخ[24]، وجاء في الحرير والتنوير: "الأمر مستعمل في معنى التخلية، ويعبر عنه بالتسوية، والمقصود التسوية في ذلك عند المتكلم، فتكون التسوية كناية عن قلة الاكتراث بفعل المخاطب، أي أن ذلك لا يضرني، وجعلت الصلة هنا فعل المشيئة إيماء إلى رائدهم في تعيين معبوداتهم هو مجرد المشيئة والهوى بلا دليل"[25].

قال الله تعالى: (أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ)	24

أي جزاء كسبهم من المعاصي[26].

قال الله تعالى: (قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (39) مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ)	40

أي اعملوا على طريقتكم من المكر والكيد، "إني عامل" أي عامل على طريقتي من الدعوة إلى الله، وإظهار دينه (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ) أي سوف تعلمون لمن سيكون العذاب الذي يذل ويخزي الإنسان (وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ) أي: وينزل عليه عذاب دائم لا ينقطع، وهو عذاب النار، هل هذا العذاب سيصيبني أو يصيبكم؟ والغرض التهديد والتخويف ومبالغة في الوعيد[27].

ج. النداء: وهو "طلب المتكلم إقبال المخاطب عليه بحرف نائب مناب "أدعو" وهذا الحرف قد يكون ملفوظا أو مقدراً"[28]، وهو "دعاء يأتي بإحدى أدوات النداء وهي ثمانية أدوات: الهمزة، وأي، مقصورتين وممدودتين، ويا، وأيا، وهيا، ووا، وأعمّ، "يا" وهي تدخل على كل نداء"[29].

- **خروج النداء عن معناه الأصلي:** قد يخرج النداء عن معناه الأصلي لدوارع بلاغية تفهم من السياق وقرائن الأحوال منها:1- الدعاء، 2- الإغراء، 3- الإغراء بالتحريض، 4- التحسر، 5- الزجر، 6- الاختصاص، 7- الاستغاثة، 8- التعجب، 9- الندبة، 10- التحقير، 11- التحبب، 12- التدله والتحير والتضجر، 13- التسوية، 14- الأمر، 15- التنبيه،16- التلذذ، 17- المدح[30].

- **شرح النداء وتحليله:**

قال الله تعالى: (أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ)	05

نداء خرج عن معناه الأصلي لواقع التنبيه، وافتتحت الجملة بحرف التنبيه إيذان بأهمية مدلولها الصريح والكنائي[31].

قال الله تعالى: (قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ)	15

أشير إلى العناية والاهتمام بوصف خسارته بأن افتتح الكلام بحرف التنبيه داخلا على اسم الإشارة المفيد[32].

قال الله تعالى: (أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ)	56

والمعنى: لئلاَّ تقول نفسٌ يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله، وظاهر القول أنه القول جهرة، وهو الشأن الذي ضاق صبره عن إخفاء ندامته في نفسه، ويصرخ بما حدث به نفسه، فتكون هذه الندامة المرح بها زائدة على التي أسرها، ويجوز أن يكون قول باطنا في النفس[33].

ثانيا: حجاجية الأساليب الإنشائية في السورة

1- الروابط والعوامل الحجاجية:

أ- الروابط الحجاجية:

– روابط السببية:

- **لام التعليل: (مثال عن الاستفهام)**

قال الله تعالى: (أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ)	22

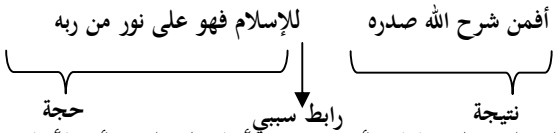

اللام في "للإسلام" لام العلة، أي شرحه لأجل الإسلام، أي لأجل قبوله[34] لا التعليل: ومعناها (من أجل) كما صرح الزمخشري، وذكر الرازي أنها تجعل أو الكلام سببا لآخره، وحملها **الفيروز آبادي** على معنى (حتى)، فيما بين أبو حيان أنها سميت (لام كي) لأنها بمعنى السبب[35].

بنيتها العامة:

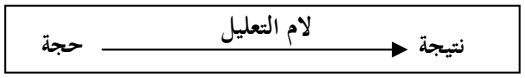

– روابط الاستنتاج:

- **الفاء:** (مثال عن الأمر)

قال الله تعالى: (قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي (14) فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ)	15

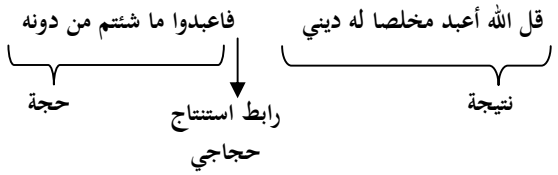

الفاء: الفصيحة، واعبدوا: فعل أمر، الغاية منه التهديد، والوعيد[36]. وجاء في التحرير والتنوير "الفاء في قوله: "فاعبدوا" الخ لتفريغ الكلم الذي بعدها على الكلام قبلها فهو تفريغ ذكري"[37].

الفاء: هي أداة كثيرة الاستخدام متعددة الوجوه، تقع: عاطفة، واستئنافية، وجوابية، وزائدة. ويكثر اختلاف المفسرين في جوابها وحملها في نصوص القرآن الكريم على أحد الوجوه المتقدمة[38].

مثال:

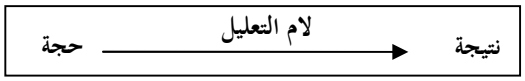

قال الله تعالى: (قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ)	39

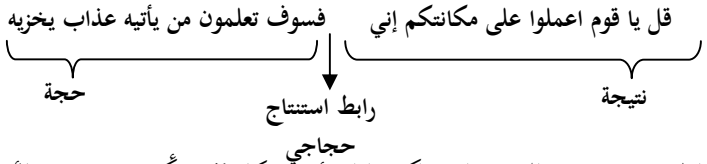

الفاء: عاطفة، و"سوف" للاستقبال. ولكن الفاء تأخذ شكلا آخرا أكثر تعقيدا من الأول مثل:

مثال:

قال الله تعالى: (أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)	22

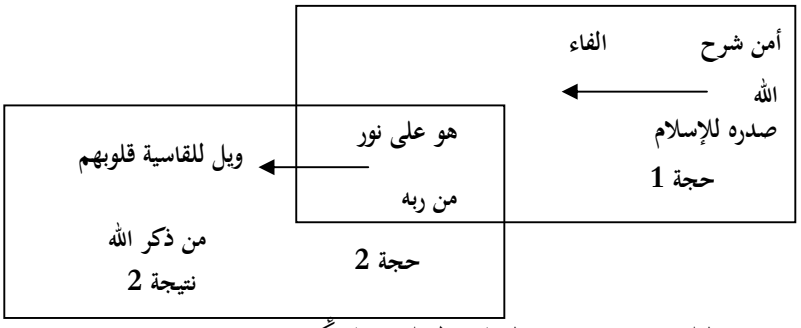

يمكن تعميم هذه القاعدة بحيث تتعدى العملية الحجاجية إلى أكثر من نتيجتين وحجتين.

- **روابط المقابلة:**

الأداة "لكن" أوضح القرطبي أن (لكن) تفيد التوكيد، وإذا كان قبلها نفي كان بعدها إيجاب، وإن كان قبلها إيجاب كان بعدها نفي. ولا يجوز بعدها الاقتصار على اسم واحد إذا تقدمها إيجاب، ويجب هنا ذكر جملة مضادة لما قبلها[39].

المثال الأول:

قال الله تعالى: (وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ

كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ) 71

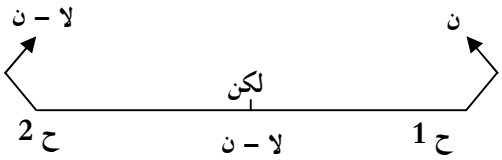

"لكن" الواردة في هذه الآية هي "لكن" الحجاجية لأن هنالك تعارض حجاجي ومقابلة بين ما يتقدم الرابط وما يتلوه، فالآية السابقة للربط "ألم يأتكم رسل منكم" تتضمن حجة تؤدي إلى النتيجة "ن" من قبيل "جاءتكم رسل ربنا ينذرونكم ويخوفونكم لتصدقوهم" والآية التي بعد الربط "حقت كلمة العذاب على الكافرين" تتضمن حجة تؤدي إلى النتيجة "كذبناهم وخالفناهم" أي "لا-ن" النتيجة المضادة للنتيجة السابقة وبما أن الحجة الثانية أقوى من الحجة الأولى، فإنها ستوجه القول بمجمله نحو النتيجة "لا - ن".

المثال الثاني:

قال الله تعالى: (أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) 19

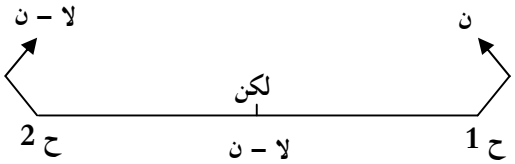

"لكن" الواردة في الآية هي "لكن" الحجاجية لأن هناك تعارض حجاجي. وهي حرف عطف وإضراب بمعنى "بل" وليس للاستدراك لأنه لم يسبقها نفي. فالكلام إضراب من موضوع إلى موضوع مغاير للأول[40]. فالآية السابقة للرابط "أفمن حق عليه كلمة العذاب" تتضمن حجة تؤدي إلى نتيجة "ن" من قبيل "هل تقدر على هدايته؟" والآية التي بعد الرابط "الذين اتقوا" تتضمن حجة تؤدي إلى النتيجة "لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار" أي "لا-ن" النتيجة المضادة للنتيجة السابقة، وبما أن الحجة الثانية أقوى من الحجة الأولى، فإنها ستوجه القول بمجمله نحو النتيجة "لا-ن". وجاء في صفوة التفسير "أفمن حق عليه كلمة العذاب" أي أفمن وجبت له الشقاوة من الله تعالى، وجوابه محذوف دل عليه ما بعده أي هل تقدر على هدايته؟ "لكن الذين اتقوا ربهم" أي لكن المؤمنون الأبرار، المتقون لله في الدنيا، والمتمسكون بشريعته وطاعته "لهم غرف من فوقها غرف مبنية" أي لهم في الجنة درجات عالية وقصور شاهقة بعضها فوق بعض مبنية من زبرجد وياقوت[41].

الأداة "بل": "وهي للإضراب، وتحمل عليها الأداتان (أم) و(أو) في بعض وجوهها. وهذا المعنى قريب من الاستدراك، لأنه رجوع عما أصاب أول الكلام"[42].

المثال الأول:

قال الله تعالى: (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) 29

بل: إضراب انتقالي أي الانتقال من موضوع إلى آخر، بلا إبطال الحكم الأول، مرتبط بقوله "هل يستويان"[43]، وجاء في صفوة التفاسير "الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون" لما كان المثل بيّنا واضحا في غاية الجلاء والوضوح ختم به الآية والمعنى: الحمد لله على إقامة الحجة عليهم بل أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون الحق فهم لفرط جهلهم يشركون بالله[44].

وبالتالي فإن "بل" هنا جاءت حجاجية بحيث تم الانتقال بواسطتها من غرض إلى غرض، وبالتالي فإن الرابط "بل" يقيم علاقة حجاجية مركبة من علاقتين حجاجيتين فرعيتين: علاقة بين حجة "ضرب الله مثلا" التي تخدم النتيجة "سيفهمون" وعلاقة حجاجية فرعية ثانية تسير في اتجاه النتيجة المعاكسة والتي تخدمها الحجة القوية التي تأتي بعد "بل" وهي "أكثرهم لا يعلمون" والنتيجة المضادة "أشركوا بالله لفرط جهلهم" والنتيجتان مضمرتان.

نوضح هذا التحليل بالرسم البياني التالي:

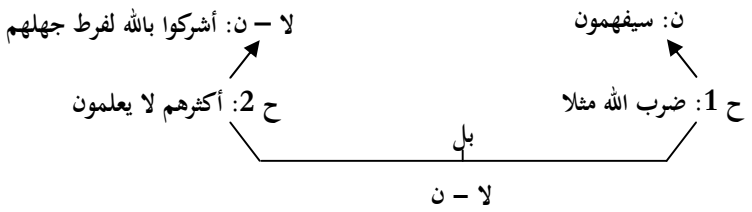

النتيجة لا-ن ستصبح نتيجة القول برمته، لأن الحجة التي بعد "بل" أقوى من الحجة التي ترد قبلها.

المثال الثاني:

قال الله تعالى: (وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا) 71

"أم" للإضراب أي لم يتفكروا بل اتخذوا لهم شفعاء من الأوثان والأصنام، فأنظر إلى فرط جهالتهم حيث اتخذوا من لا يملك شيئا أصلا شفعاء لهم عند الله[45].

ونلاحظ أن "أم" جاءت بمعنى "بل" فهي حجاجية، ثم الانتقال بواسطتها من غرض إلى غرض، وبالتالي فإن الرابط "أم" الذي هو بمعنى "بل" يقيم علاقة حجاجية مركبة من علاقتين حجاجيتين فرعيتين: علاقة بين الحجة "إن ذلك لآيات" التي تخدم النتيجة "أنهم سيتفكرون" وعلاقة حجاجية فرعية ثانية تسير في اتجاه

النتيجة المعاكسة، والتي تخدم النتيجة المعاكسة التي بعد "أم" التي هي بمعنى "بل" وهي "اتخذوا من دون الله شفعاء".

والنتيجة المضادة "أنهم لم يتفكروا" والنتيجتان مضمرتان، ونوضح هذا التحليل بالرسم البياني التالي:

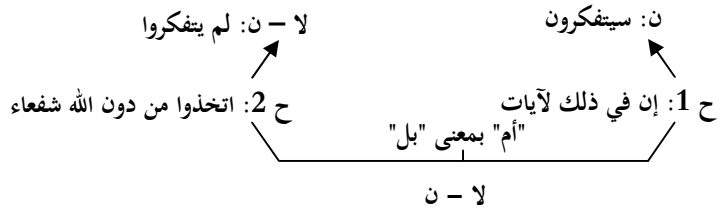

إذن النتيجة لا-ن تبح نتيجة القول برمته، لأن الحجة التي بعد "أم" التي ه بمعنى "بل" أقوى من الحجة التي ترد قبلها.

– **روابط الترتيب:** هي روابط تكون بين حجة وأخرى أو أكثر تسهم في ترتيب الحجج.

الرابط "ثم": ذكر "الفرّاء" أن هذه الأداة كالفاء في إفادة الترتيب، وأضاف "الطبري" أنها تؤذن بانقطاع ما بعدها عما قبلها، وعبّر "الزمخشري" عن ذلك بالتراخي الزمني، والتطاول، والمدة، والوجود بين المتعاطفين، وزاد "أبو حيان" معنى المهملة، وحمل عليه كثيرا من النصوص[46].

المثال الأول:

قال الله تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا) 21

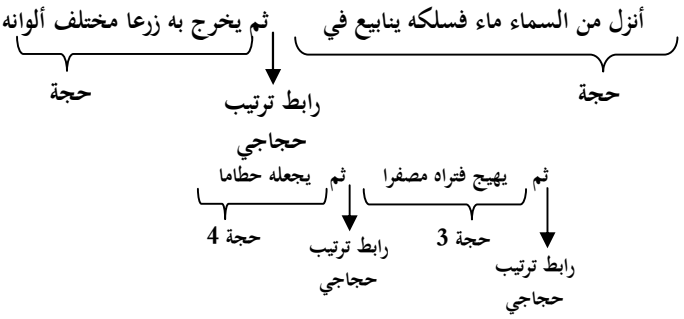

يظهر الرابط "ثم" هنا ليرتب أربع حجج متضمنة في قوله: "ألم تر أن الله: أنزل من السماء ماء ثم يخرج به زرعا ثم يهيج ثم يجعله حطاما". وتراتيب الحجج في القوة عن طريق الرابط الحجاجي (رابط الترتيب) "ثم".

المثال الثاني:

قال الله تعالى: (وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ)	54

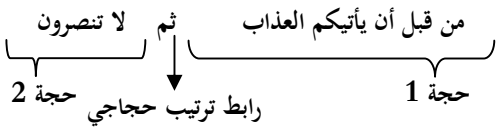

أي من قبل حلول نقمته تعالى بكم ثم لا تجدون من يمنعكم من عذابه[47].

- **العوامل الحجاجية:**

العامل: لا ... إلاّ:

مثال:

قال الله تعالى: (ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ)	06

جملة "لا إله إلا هو" بيان لجملة الحصر في قوله: "له الملك" وفرّع عليه استفهام انكاري عن انصرافهم توحيد الله تعالى ولما كان الانصراف حالة استفهم عنها بكلمة "أنّى"[48] وجاء في صفوة التفاسير "لا إله إلا هو" أي لا معبود بحق إلا الله ولا رب لكم سواه[49]، فقد أعطى العامل "لا ... إلاّ" طاقة حجاجية إضافية للحجة المتبنّاة.

العامل إنما:

قال الله تعالى: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ)	09

قوله "إنما يتذكر أولو الألباب" واقع موقع التعليل لنفي الاستواء بين العالم وغيره المقصود منه تفضيل العالم والعلم، فإن كلمة (إنما) مركبة من حرفين (إن) و (ما) الكافة أو النافية، فكانت (إنّ) فيه مفيدة لتعليل ما قبلها مغنية غناء "فاء التعليل" إذ لا فرق بين (إنّ) المفردة و(إنّ) المركبة مع (ما)، بل أفادها التركيب زيادة تأكيد وهو نف الحكم الذي أثبتته (إنّ) عن غير من أثبتته له. وقد أخذ في تعليل ذلك جانب إثبات التذكر للعالمين، ونفيه من غير العاملين، بطريق الحصر لأن الجانب التذكر هو جانب العمل الديني، وهو المقصد الأهم في الإسلام لأن به تزكية النفس والسعادة الأبدية قال النبي (ص): "من يرد الله به خيرا يفقه في الدين"[50].

2- السلالم الحجاجية:

- **مفهوم السلالم الحجاجية:** جاء في كتاب السلميات الحجاجية: «السلم الحجاجي هو علاقة ترتيبية للحجج، المنتمية إلى فئة حجاجية واحدة، بحسب القوة الحجاجية لكل حجة، ومعلوم أنّ الحجج اللغوية متفاوتة في قوتها الحجاجية، فهناك الحجة الضعيفة والحجة الأضعف وهناك الحجة القوية والحجة الأقوى، أي من الأضعف إلى الأقوى صعودا، ومن الأقوى إلى الأضعف نزولا، فالحجج اللغوية بخلاف البراهين المنطقية، غير متساوية في قوتها، وغير متماثلة من حيث طبيعتها»[51].

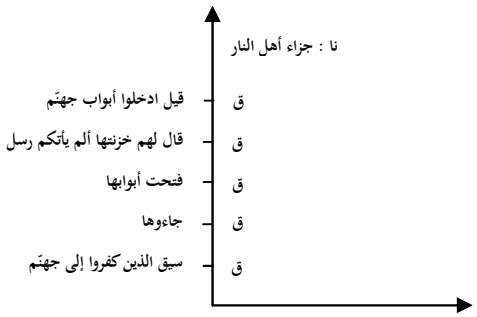

نلحظ أنّ: ق1/ ق2/ ق3/ ق4/ ق5 حجج متدرجة في القوة تخدم النتيجة "ن" وهذه الحجج «تنتمي إلى فئة حجاجية معينة، وتنهض على علاقة تراتبية معينة؛ فهي تشكل سلما حجاجيا موجها نحو ما يريد أن يصل إليه المخاطب»[52].

بدأ السلم الحجاجي من أدنى حجة وهي "ق1" التي هي: «سيق الذين كفروا إلى جهنّم» ثم ذُكرت الحجة التي هي أقوى منها وهي "ق2" التي هي: "جاءوها"، ثم الحجة الأقوى "ق3" التي هي: "فتحت أبوابها" ثم الحجة التي هي أقوى "ق4"، التي هي: «قال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل» والحجة "ق5" تفوق الحجة "ق4" التي هي: «قيل أدخلوا أبواب جهنّم»، فالحجج مرتبة من الأضعف إلى الأقوى لتخدم النتيجة "ن" والمتمثلة في "جزاء أهل النار.

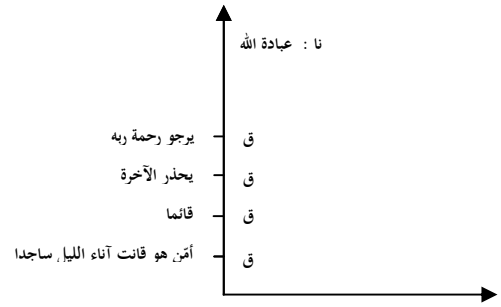

أمّا السلم المختص بـ "عبادة الله" فقد بدأ بالقنوت ثم بالقيام ثم الحذر من الآخرة ثم رجاء رحمة الله، كل هذه الحجج التي تمثل "ق1، ق2، ق3، ق4" تخدم النتيجة "ن" المتمثلة في "عبادة الله.

يمثل السلم أعلاه "نعم الله سبحانه"، وقد جاءت الحجج في السلم مرتبة ترتيبا تصاعديا من الأدنى "ق1" إلى الأعلى "ق5"، وكل الحجج "ق1، ق2، ق3، ق4، ق5" تمثل النتيجة "نا" والمتمثلة في نعم الله سبحانه.

خاتمة:

وفي الأخير نجمل ما توصلنا إليه في الآتي:

- أنّ الأساليب الإنشائية تؤدي معان اصلية وقد تتعداها إلى معان فرعية، وللحجاج أثر في تحرير هذه الأساليب وتقريره في النفوس.
- أنّ الروابط والعوامل الحجاجية موجودة بكثرة في سورة الزمر، ممّا يدل على أنها سورة حجاجية بامتياز، ووجود هذه الأدوات فيها دليل على تماسك واتساق الآليات بعضها ببعض لوجود مناسبة بينها.
- أنّ كثرة العوامل في السورة يدّل على أنّها سورة حجاجية إقناعية تأثيرية.
- أنّ الأساليب الإنشائية الموجودة في السورة هي أساليب إنشائية حجاجية.

هوامش:

[1]- عبد الرحمن حسن الميداني، البلاغة العربية: أسسها، علومها، وفنونها، (1416هـ-1996م)، الجزء الأول، دار القلم (دمشق)، الدار الشامية (بيروت)، الطبعة الأولى، ص 223.

[2]- الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، (1884م)،الدار التونسية للنشر (تونس)، الجزء الثالث والعشرون، ص 337.

[3]- عبد الكريم محمد يوسف، أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم غرضه وإعرابه، (1421هـ-2000م)، مكتبة الغزالي (بدون بلد) الطبعة الأولى، ص 124.

[4]- أبو الحسن علي محمد بن حبيب الماوردي البصري، من روائع التفاسير النكت والعيون، ص 116.

[5]- عبد الكريم محمد يوسف، مرجع سابق، ص 124.

[6]- الطاهر بن عاشور، مرجع سابق، ص 349.

[7] - المرجع نفسه، ص 371.
[8] - عبد الكريم محمد يوسف، مرجع سابق، ص 124.
[9] - الطاهر بن عاشور، مرجع سابق، ص 378.
[10] - أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزيّ الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل، (1415هـ-1995م)، دار الكتب العلمية (بيروت)، ضبطه وصححه وخرّج آياته: محمد سالم هاشم، الجزء الثاني، الطبعة الأولى.
[11] - عبد الكريم محمد يوسف، مرجع سابق، ص 124.
[12] - الطاهر بن عاشور، مرجع سابق، ص 380.
[13] - المرجع نفسه، ص 393.
[14] - المرجع نفسه، ص 403.
[15] - عبد الكريم محمد يوسف، مرجع سابق، ص 125.
[16] - الطاهر بن عاشور، مرجع سابق، ص05 وما بعدها.
[17] - عبد الكريم محمد يوسف، مرجع سابق، ص 125.
[18] - الطاهر بن عاشور، مرجع السابق، ص 15 وما بعدها.
[19] - عبد الكريم محمد يوسف، مرجع سابق، ص 126.
[20] - أبو القاسم محمد بن أحمد، مرجع سابق، ص 270.
[21] - الطاهر بن عاشور، مرجع سابق، ص 28.
[22] - عبد الكريم محمد يوسف، مرجع سابق، ص 126.
[23] - أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (1417هـ-1996م)، دار الكتب العلمية (بيروت)، المجلد الثامن (من أول سورة يس حتى آخر سورة الحجرات)، الطبعة الخامسة، ص 155.
[24] - المرجع نفسه، ص 158.
[25] - الطاهر بن عاشور، مرجع سابق، ص 359.
[26] - أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، مرجع سابق، ص 163.
[27] - محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، (1401هـ/1981م)، دار القرآن الكريم (بيروت)، القسم الرابع عشر، تفسير السور الكريمة (الصافات –ص – الزمر -غافر)، الطبعة الأولى.
[28] - عيسى علي العاكوب، المفصل في علوم البلاغة العربية- المعاني- البيان- البديع، (1421هـ-2000م)، منشورات جامعة حلب (حلب)، ص 285.
[29] - إبراهيم السمرائي، من أساليب القرآن، (1408هـ-1987م)، دار الفرقان (بدون بلد)، الطبعة الثانية، ص 41.
[30] - أحمد محمد فارس، النداء في اللغة والقرآن، (1409هـ-1989م)، دار الفكر اللبناني، (بدون بلد)، الطبعة الأولى، ص 161 وما بعدها.
[31] - الطاهر بن عاشور، مرجع سابق، ص 330.
[32] - المرجع نفسه، ص 361.
[33] - المرجع نفسه، ص 45.

[34] - الطاهر بن عاشور، مرجع سابق، ص 380.
[35] - محمد أحمد الصغير، الأدوات النحوية في كتب التفسير، (1422هـ-2001م)، دار الفكر (دمشق)، الطبعة الأولى، ص 488.
[36] - محي الدين درويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، (1420هـ-1999م)، المجلد السادس، دار ابن كثير (بيروت)، دار الإرشاد للشؤون الجامعية (حمص)، الطبعة السادسة.
[37] - محمود أحمد الصغير، مرجع سابق، ص 182.
[38] - المرجع نفسه، ص 182.
[39] - المرجع نفسه، ص 480.
[40] - محي الدين درويش، مرجع سابق، ص 504.
[41] - محمد علي الصابوني، مرجع سابق، ص 53.
[42] - محمود محمد أحمد الصغير، مرجع سابق، ص 481.
[43] - محي الدين درويش، مرجع سابق، ص 512.
[44] - محمد علي الصابوني، مرجع سابق، ص 56.
[45] - المرجع نفسه، ص 60.
[46] - محمود أحمد الصغير، مرجع سابق، ص 571.
* هاج النبت هيجانا إذا يبس، وأرض هائجة إذا يبس قلبها أو أضفت حطاما: فتاتا وهشيما.
[47] - محمد علي الصابوني، مرجع سابق، ص 63.
[48] - الطاهر بن عاشور، مرجع سابق، ص 337.
[49] - محمد علي الصابوني، مرجع سابق، ص49.
[50] - الطاهر بن عاشور، مرجع سابق، ص 351..
[51] - أزفالد ديكرو، السلميات الحجاجية، ترجمة وتقديم: أبو بكر العزاوي، مطبعة وراقة بلال، فاس-المغرب، الطبعة الأولى، 2020م.
[52] - مثنى كاظم صادق، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي -تنظير وتطبيق على السور المكية، دار عدنان، لبنان، الطبعة الأولى، 1436هـ - 2015م، ص 117.

المصادر والمراجع:

1- إبراهيم السمرائي، من أساليب القرآن، (1408هـ-1987م)، دار الفرقان، الطبعة الثانية.
2- أبو الحسن علي محمد بن حبيب الماوردي البصري، من روائع التفاسير النكت والعيون.
3- أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزيّ الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل، (1415هـ-1995م)، دار الكتب العلمية (بيروت)، الجزء الثاني، ضبطه وصححه وخرّج آياته: محمد سالم هاشم، الطبعة الأولى.

4- أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (1417هـ-1996م)، دار الكتب العلمية (بيروت)، المجلد الثامن (من أول سورة يس حتى آخر سورة الحجرات)، الطبعة الخامسة.

5- أحمد محمد فارس، النداء في اللغة والقرآن، (1409هـ-1989م)، دار الفكر اللبناني (بدون بلد)، الطبعة الأولى.

6- أزفالد ديكرو، السلميات الحجاجية، ترجمة وتقديم: أبو بكر العزاوي، مطبعة وراقة بلال، فاس-المغرب، الطبعة الأولى، 2020م.

7- الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، (1884م)، الدار التونسية للنشر (تونس)، الجزء الثالث والعشرون.

8- عبد الرحمن حسن الميداني، البلاغة العربية: أسسها، علومها، وفنونها، (1416هـ-1996م)، الجزء الأول، الطبعة الأولى، دار القلم (دمشق)، الدار الشامية (بيروت).

9- عبد السلام محمد هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، (1421هـ-2001م)، مكتبة الخانجي (القاهرة)، الطبعة الخامسة.

10-عبد الكريم محمد يوسف، أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم غرضه وإعرابه، (1421هـ-2000م)، مكتبة الغزالي (بدون بلد)، الطبعة الأولى.

11-عيسى علي العاكوب، المفصل في علوم البلاغة العربية- المعاني- البيان- البديع، (1421هـ-2000م)، منشورات جامعة حلب (حلب).

12- مثنى كاظم صادق، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي -تنظير وتطبيق على السور المكية، دار عدنان، لبنان، الطبعة الأولى، 1436هـ - 2015م.

13- محمد أحمد الصغير، الأدوات النحوية في كتب التفسير، (1422هـ-2001م)، دار الفكر (دمشق)، الطبعة الأولى.

14- محمد علي (الصابوني)، صفوة التفاسير، (1401هـ/1981م)، دار القرآن الكريم (بيروت)، القسم الرابع عشر، تفسير السور الكريمة (الصافات –ص – الزمر -غافر)، الطبعة الأولى.

15- محي الدين درويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، (1420هـ-1999م)، دار ابن كثير (بيروت)، دار الإرشاد للشؤون الجامعية (حمص)، المجلد السادس، الطبعة السادسة.